

تاريخ الاستلام: 2021/02/11 تاريخ القبول: 2021/06/19

ملخص:

شهدت الامبراطورية الرومانية خلال منتصف القرن الثالث للميلاد أزمة سياسية وعسكرية، دفعت بالسلطة للمجازفة من خلال الاستنجاد بالأفارقة وبنسبة كبيرة في الجيش كسابقة تاريخية، حيث عرفت فترة الأزمة بروز العنصر الإفريقي أكثر في الجيش الروماني، خصوصا في المناصب الحساسة والمميزة، إذ أثبت العنصر الإفريقي جدارته في المسار العسكري عمليا وأخلاقيا، هذا التميز سمح لهم بتقلد مناصب عليا وحساسة في الإدارة عموما والعسكرية خصوصا، الأمر الذي ساعد الأفارقة على استعادة زمام الحكم تدريجيا في الكثير من المجالات محليا، و بالتالي تحقيق نوع من الاستقلالية التي ستأسس لما سيُعرف لاحقا بعد جلاء الرومان من البلاد المغاربية بالإمارات المورية.

الكلمات المفتاحية: المجندون الأفارقة – المور – العهد الإمبراطوري الثاني – الجيش الروماني- الإمارات المورية

Abstract:

During the middle of the third century, the Roman Empire witnessed a political and military crisis, which pushed the authority to seek help from the Africans and enlist them in large proportions in the army, especially in sensitive and distinguished positions.

As the African component proved their competence in the military field, both practically and morally, this distinction allowed them to occupy high and sensitive positions in the administration in general and the military in particular. This allowed Africans to gradually regain their freedom in various areas, and thus achieve a kind of independence that will be reinforced in what will be known later as the Moorish principalities.

Key words: Roman Empire – Africans - Moorish principalities -the lower imperial Era – Roman .

واقع الأفارقة في الجيش الروماني خلال العهد الإمبراطوري الثاني (235 م – 476 م)

"تأملات في المكانة والأدوار"

**The Reality of Africans in
the Roman Army during
the Second Imperial Era
(235 AD - 476 AD)**

**“Reflections on status and
roles”**

الدكتور خالد محفوظ /جامعة سطيف 02

khaledmahfoud06@yahoo.fr

المرسل: الدكتور خالد محفوظ الإيميل: khaledmahfoud06@yahoo.fr

الدارس للتاريخ الروماني عموماً والعسكري خصوصاً يلاحظ ظاهرة بروز الأفارقة بقوة في الجيش الروماني خلال النصف الثاني من القرن الثالث والقرن الرابع، حيث احتلوا مكانة مميزة، في حين كان حضورهم في الفترات السابقة ضئيل جداً وتحت المراقبة، هذا الواقع يدفعنا للبحث في ظروف وأسباب بروز هؤلاء الأفارقة في فترة حساسة اتسمت بضعف الدولة الرومانية فيما عُرف بأزمة القرن الثالث؟ وما مدي أهميتهم في الجيش الروماني؟

2- ظروف ودوافع بروز المجندون الأفارقة في المنظومة العسكرية الجديدة للرومان

1-2- الظروف العامة لبروز الأفارقة في الجيش الروماني خلال القرن الثالث

تحفظت السلطة الرومانية في قضية التجنيد من المقاطعات الإفريقية خلال العهد الجمهوري، وبقيت على ذلك إلى غاية القرن الأول ميلادي⁽¹⁾، حيث احتل الايطاليون والغالليون المراتب الأولى على التوالي، لكن خلال القرن الثالث أصبح ظهور الأفارقة في الجيش الروماني كبيراً و متميزاً، إذ كانوا في غالبيتهم من البروقنصلية ونوميديا⁽²⁾، إذ ذهب بعض المختصين المهتمين بالموضوع أمثال لوبهيك (Le Bohec) لرد هذا التحول الاستراتيجي إلى ظاهرة عسكرية النظام التي قادها السيوريون بداية بالمؤسس سبتيميوس سيوريوس (Septimius) الذي استخلف مسؤولين من حكام وقادة عسكريين ايطاليين بعناصر إفريقية الأصول ومن ذوي المسارات المهنية العسكرية⁽³⁾ كإجراء احترازي ضد المؤامرات والتمردات. إلا أن الواقع التاريخي أثب أن الإصلاح السيوري كان وليد الظروف، بحيث أن ما أُطلق عليه بـ"العسكرة" كان وليد ظاهرة كانت قائمة حين تقلص التجنيد خاصة في المقاطعات المتضررة، الوضع الذي كانت فيه الارستقراطية سبباً⁽⁴⁾، إذ أصبح التجنيد من الفئات الرومانية صعباً، الأمر الذي دفع بالسلطة إلى فرض التجنيد الإجباري، الإجراء الذي يترجم على أنه مظهر من مظاهر فشل السياسية العسكرية*، و دليل على رفض السكان المحليين في المقاطعات للعنصر الروماني، إذ ذهب هؤلاء المحليون البسطاء إلى حد دفع قيمة مالية مقابل الإعفاء من هذه الخدمة العسكرية، أو تقديم أشخاص من المستخدمين عندهم و من الأقل مردودية⁽⁵⁾، بل شهدت المقاطعات الإفريقية حالات عصيان وتمرد رفضاً لهذا التجنيد الإجباري⁽⁶⁾، و بالتالي كان ضروري تحفيز الأشخاص بمُغريات كانت تتعاضد باستمرار⁽⁷⁾ فضوعفت الامتيازات ذات الطابع الاقتصادي، كالرواتب حيث كان سبتيموس سيوريوس ثاني امبراطور يُقدّم على مراجعة شبكة أجور العسكر** بعد أوكتافيوس⁽⁸⁾، مع تقديم دعم غذائي على شكل مؤنة شهرية، كما سمح بالعسكريين بممارسة حرف و نشاطات جانبية مع تأسيس جمعيات⁽⁹⁾، أما في الجانب الاجتماعي فقد تنبه لفكرة التشريف الاجتماعي لتحفيز العسكريين، لذلك لجأ إلى الإشهار بشعارات تمجد الجندية و المهنة العسكرية، حتى أنه وضعها على العملة، بالإضافة إلى سماحه للعسكريين بالزواج دون السن الذي كان محدد سابقاً، بالإضافة إلى السماح للمجندين لحمل شارات وألبسة خلال المناسبات الاحتفالية كانت سابقاً حكراً على فئة معينة من المواطنين⁽¹⁰⁾، كل هذه التحفيزات



ساهمت في تضاعف عدد الفرق العسكرية، أما من الناحية التنظيمية، قام بتغيرات في تعداد بعض الفرق مع ابتكار فرق جديدة، مثلما كان الحال مع الفرق البارثية الثلاثة وإعادة توزيع تمرکز الكثير من الفرق جغرافياً، كما فتح أبواب المسؤوليات السياسية للعسكريين⁽¹¹⁾، كل هذه التطورات أوجدت ظاهرة جديدة خلال الأزمة، وهي سيطرة عسكريين من أصول غير رومانية على مناصب حساسة⁽¹²⁾، فبغض النظر عن التسمية التي ذكر بها الأفارقة في المصادر الأدبية خصوصاً، حيث طغت العمومية على التسمية ليدركوا غالباً بالمرور⁽¹³⁾ في حين الواقع الإثني تعدي وعاء التسمية، إذ ذكر هيروديانوس (Herodianus)⁽¹⁴⁾ أن المرور كانوا حاضرين بقوة في جيش الإمبراطور الإسكندر سيوريوس⁽¹⁵⁾، نفس الظاهرة كانت مع خليفته ماكسيميانوس (Maximianus)⁽¹⁶⁾

2-2- أسباب و دوافع استنجد السلطة الرومانية بالأفارقة:

أظهرت الدراسات التاريخية التي اهتمت بإصلاحات ديوقليسيانوس (Diocletianus)، أنه ركز على قضية ضرورة الاحتفاظ بالفرق الإفريقية رغم ما شكلته من مشاكل في بعض الحالات، الواقع الذي أثار تساؤلات طرحها الكثير من المحدثين أمثال غزال (Gsell) و لاسير (Lassère)، حين تساءلوا عن تفسير إجراء تعويض الفرقة الأغسطية بداية من عام 238م بإنشاء الفرقة المورية القيصرية التي قادها لوكيوس كيتوس (Lusius quietus) ذو الأصول المورية، (أنظر الصورة 01 و 02) بالإضافة إلى تجنيد من الأفارقة الغير "مرومين" أو الحديثي "الرومنة"⁽¹⁷⁾، ولقد بينت المصادر الأثرية أن أغلب هؤلاء المجندين كانوا من سكان القرى المجاورة للمعسكرات والمدن⁽¹⁸⁾، إذ أحصى عدد الفرق الإفريقية المجندة في الجيش الروماني خلال حكم ديوقليسيانوس بست (06) فرق من الطليعة كانت موزعة في المقاطعات الشمالية والشرقية⁽¹⁹⁾.

كما أكدت بعض الإشارات الأثرية، قضية استحداث فرق المشاة والخيالة من القبائل الإفريقية خلال إصلاحات فاليريانوس⁽²⁰⁾، الإجراء الذي واصل عليه ابنه قاليانوس، إذ قام بتأسيس فرقة عسكرية نخبوية تحت اسم النخبة الداماكية، ليظهر أن محتواها الإثني تعدي إطارها الجغرافي المرتبط بتسميتها حين ضمت أسماء من الخيالة المرور⁽²¹⁾، و خلال حكم قسطنطين اعتمد على فرق مورية متخصصة من رماة الرماح،⁽²²⁾ كما أُحصيت خمس (05) كتائب من الفرق المورية كانت حاضرة في إقليم داقيا⁽²³⁾.

هذا الإسرار من السلطة الرومانية على كسب و استغلال الفرق الأفريقية في كنف الفوضى العسكرية يعطى انطباعاً حول مدى أهميتها، فرغم تعدادهم الضعيف مقارنة بإجمال تعداد الجيش الروماني، إلا أنهم برزوا في الجيش الروماني بالتخصص والفعالية، إذ ذكر هيروديانوس أنها كانت تشكل صداعاً للعدو من خلال أسلحة الرمي والسرعة في التنقل وكانت ترهق الخصم بسرعة، كما تفننوا في حروب الكمائن⁽²⁴⁾.

ذهب الباحث موريزو بيير (P. Morizot) إلى تفسير هذا الإسرار من طرف السلطة الرومانية في استغلال

القوة البشرية الأفريقية في الجيش، والمثلة في الفرق المساعدة من خلال ثلاث خلفيات أساسية :



أولاً : استغلال هذه القوة كدعم نظرا لخصوصيتها الحربية في ظل الحرب الجديدة التي فُرضت على الجيش الروماني من قبل القبائل المعادية للرومان⁽²⁵⁾ ، نفس الطرح ذهبت إليه الباحثة روسل أدلين، خلال حديثها عن لجوء السلطة الرومانية إلى التجنيد بقوة من الأفارقة خلال القرن الثالث عموماً و فترة الفوضى العسكرية خصوصاً رغم ما في ذلك من خطر، حيث أصرت السلطة على استغلال مميزات الفرق الإفريقية الحربية بشروط و إجراءات خاصة⁽²⁶⁾ ، هذه الفكرة التي سنحاول التطرق إليها في المطلب التالي.

ثانياً : تجنيد الأفارقة كان بخلفية سياسية وبعيد اجتماعي، حيث تضمن التقارب و المهادنة بين السلطة الممثلة في الإدارة الرومانية و القبائل الإفريقية بهدف اتقاء " شرها " وامتصاص غضبها بمجموعة من إجراءات كالاتفاقيات و تعيين ضباط و اداريين عسكريين محليين كرؤساء قبائل، مثلما كان شائعاً في المناطق الجبلية في موريطانيا القيصرية⁽²⁷⁾ .

ثالثاً : الخلفية الاقتصادية التي ارتبطت بتكلفة نفقات المجندين في هذه الفرق المساعدة، إذ كانت أقل تكلفة من الفرق النظامية، حيث كان يتحصل مجند الفرقة المساعدة على خمس أجر المجند النظامي⁽²⁸⁾ ، الأمر الذي يجعلنا نعتقد بأن ذلك كان من باب أن الإدارة الرومانية أرادت استغلال علاقاتها الحسنة مع بعض القبائل الإفريقية، حيث بقيت هذه القبائل ملتزمة بعقدها، من خلال تقديم خدمة عسكرية مجانية للسلطة الرومانية، الفكرة التي تؤكد المصادر بنوعها، إذ وردت أخبار تجنيد من التخوم الصحراوية على شكل فرق جمالة خلال حكم سببتموس سيويروس⁽²⁹⁾ ، هذا الأخير الذي تعمد تغيير بعض التقاليد التي كانت مرتبطة بالمجندين الأفارقة، حيث سمح الزواج للجنود الجدد، بالإضافة الى اعتماد مدن شبه عسكرية لغايات سياسية و اجتماعية⁽³⁰⁾ ، يُضاف إليها حرية المعتقد وحق توريث المنصب للأبناء، هؤلاء الأبناء الذين سيرزون خلال الأزمة العسكرية، بالإضافة إلى بروز فرق إفريقية في الجيش الروماني بقوة منذ حكم كراكلا، حيث ذكرت خيالة نوميدي و ماورية بقيادة محلية⁽³¹⁾ ، كما لعب مرسوم كراكلا المؤرخ بعام 212 م دوراً هاماً في احتواء بعض القبائل و الأفراد الذين كانوا متحفظين من السلطة و الإدارة الرومانية، إذ حفز هذا المرسوم الكثير من النوميدي و المور للالتحاق بالجيش الروماني خاصة في الموريطانيات⁽³²⁾ ، و لفهم أحسن لهذا التطور يقدم لنا كل من جون ماري لاسير، نصيرة بن صديق و حمدون كريستين، دراسات قيمة مرتبطة بتطور عملية التجنيد من الأفارقة في الجيش الروماني، فبالنسبة لدراسة لاسير التي أقامها على تطور التجنيد خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، خلص إلى فكرة عامة يمكن عرضها في ملاحظتين أساسيتين:

أولاً: التجنيد كان أكثر في البروقنصلية و أقل في نوميديا و تكاد تنعدم في الموريطانيات.

ثانياً: ارتفاع عدد المجندين الأفارقة بداية من النصف الثاني من القرن الثاني و خلال القرن الثالث⁽³³⁾ ، ثم حاول لاسير تفسير هذا التطور في التجنيد، حيث راح يركز على فكرة كورتوا (courtois) بالقول أن السبب يكمن في



رغبة المجند الإفريقي في كسب وظيفة و ثروة بعدما تعذر عليه ذلك بعد تطور عدد العائلة وازدياد متطلباتها، بالتالي البحث عن الاسترزاق من الجندية⁽³⁴⁾، كما حاول إرجاع السبب في المناطق الغربية إلي الطابع الزراعي الذي كان قائما و المرتكز على الزراعة الشجرية، حيث يطول مردودها و بالتالي البحث عن المدخول السريع و المضمون في الجندية⁽³⁵⁾، إلا أن تفسيرات الباحث لاسير تبقي نسبية حسب تقديرنا للاعتبارات التالية:

- استثنى لاسير في دراسته النخبة الإفريقية التي كانت تحت مجهر السلطة الرومانية، إذ يقول ميشال كريستول في هذا المقام أن السلطة الرومانية كانت أمام تطورات سياسية و عسكرية متسارعة أجبرتها على هذا التجنيد الواسع من المقاطعات الإفريقية لمسؤولين عسكريين لمساعدة حكام المقاطعات⁽³⁶⁾.
- ألا يمكن افتراض أن التجنيد الإجباري كان وليد الضرورة كما سبق و ذكرناه في عنصر عسكرة النظام، حين أصبحت السلطة عاجزة على التجنيد من العناصر الإيطالية بسبب الرفض⁽³⁷⁾، حيث يصفهم قداش محفوظ بأنهم - الإيطاليون- لا يصلحون إلا للاختلاف فيما بينهم وراء أسوار مدنها، وحتى المسرحين من الخدمة العسكرية لم يكونوا مستعدين للخدمة في الجيش، و لم يكونوا قادرين لتقديم الإضافة⁽³⁸⁾، الأمر الذي دفع بالسلطة الرومانية للتجنيد من المقاطعات و خصوصا من الأفارقة، إذ تبين من خلال المصادر الأثرية، أن أغلب المجندين الأفارقة كانوا من المناطق المجاورة للتجمعات الحضرية أو كانت داخل مجال السيطرة الادارية لهذه المراكز الحضرية، وعليه يمكننا أن نعتبر ذلك التجنيد بمثابة ضريبة شروط اتفاقية حسن الجوار، خاصة لما نعلم أنهم كانوا يقدمون خدمتهم خارج إفريقيا أو بعيدا عن مواطنهم الأصلية، و ذلك تجنباً لأي انزلاق، إذ أشارت الباحثة حمدون كريستين في احدي مقالاتها إلى نصب جنائزية عُثر عليها بالقيصرية وُضعت من طرف أقارب متوفين، تتحدث عن محاربين أفارقة في الجيش الروماني توفوا في جبهات أسيوية و أوروبية، و ذلك بعد فترة قصيرة من تجنيدهم⁽³⁹⁾، المعلومة التي يمكن ترجمتها على أن المجندين الأفارقة كانوا يرسلون خارج الوطن مباشرة بعد التجنيد؛ الملاحظة التي أشار إليها الباحث شنيقي خلال تعدادده للكتائب (Alas) و فرق الخيالة (Cohors) التي أخذت أسمائها من المناطق التي تكونت بها نواتها الأولى، في حين لا يتوافق اسمها مع محتواها البشري، الطرح الذي أكدته الباحثة يحيوي نورة من خلال دراستها لعينة من نقائش عُثر عليها بمناطق متفرقة بالحواف الغربية لموريطانيا القيصرية.***

3- دور و مكانة الأفارقة في الجيش الروماني بعد أزمة القرن الثالث

المعلومات التي نملكها عن أحوال المور في الجيش الروماني، تعود إلى بعض المؤرخين لذين عاصروا أحداث القرن الثالث و الرابع و حتي الخامس، أمثال ديون كاسيوس، هيروديانوس، كوريببوس، أميانوس، زوزيم، و رجال دين أمثال كيريانوس و اوغسطينوس، فكان بعضها اعتراف و مدح وكثيرها هجاء و احتقار، فكلما كان الأفارقة إلى



جانب الرومان ذكرت خصالهم العسكرية أما الخصال الفكرية فهي نادرة في المصادر القديمة، و تكاد تكون منعدمة في المصادر اللاتينية رغم المساهمة الإفريقية الفعالة في الحضارة الرومانية⁽⁴⁰⁾.

1-3- دور المجندين الأفارقة في الجيش:

بالعودة إلى ذكر الأفارقة في الجيش الروماني خلال فترة الأزمة و بعدها، يذكر هيروديانوس المور بالقول "... كانوا أشداء قادرين على تحمل مشقة الحروب... ولا يخشون الموت يتقنون ركوب الخيل بكل احترافية... كانوا قصار القامة الشيء الذي ساعدهم على رمي الرمح بقوة و تصويبه بدقة"⁽⁴¹⁾ و قد لعب المور دورا مهما في حروب الإكسندر سيوريوس ضد القبائل الجرمانية⁽⁴²⁾، نفس الإمبراطور جند الأفارقة داخل فرق الجمالة التدمرية⁽⁴³⁾، أما عندما كان الأفارقة في الجهة المعاكسة للرومان، يبدأ هؤلاء بالتهجم عليهم و نعتهم بكل أنواع صفات الاحتقار، فسالوستيوس يقول " الفرسان الجيتول و المور يغيرون مواقعهم في المعركة دون خطة و لا تنظيم"⁽⁴⁴⁾، أما يوليوس قصير ينعت المور بقليلي الخبرة العسكرية⁽⁴⁵⁾، في حين يصف أميانوس من انضم إلى ثورة فيرموس عام 372 م بالمرتزقة عديمي الضمائر⁽⁴⁶⁾، أما كوريبيوس يصف المور بالهمجيين و المتوحشين المخادعين و الماكرين، كما شبه معيشتهم بمملكة الحيوان⁽⁴⁷⁾، كما نجد هؤلاء الكتاب و المؤرخين الإغريق و بالخصوص اللاتين يمدحون المور الذين كانوا إلى جانبهم، هذه الازدواجية تدفعنا للتشكيك في مدى صحة الأخبار التي أوردوها في مؤلفاتهم عن أحوال المور اللذين وقفوا في وجههم، لتأتي بعدها كتابات مؤرخي المدرسة الكولونيالية الذين ربطوا الوعي و التطور الأفريقي بعناصر الحضارة الغربية متغاضين عن العمق الحضاري المحلي، إلا أن الدراسات الأثرية و التاريخية المتأنية، سمحت لنا بوضع صورة عامة عن طبيعة العلاقات الرومانية " المورية " خلال القرن الثالث كما سبق و فصلنا فيها.

دون العودة إلى قضية أهداف و خلفيات اعتماد الرومان التجنيد بقوة من الأفارقة عموما، فإن هؤلاء الأفارقة الذين ورد ذكرهم في غالب الحالات باسم المور، حيث احتلوا مكانة مميزة في الجيش الروماني خلال النصف الثاني من القرن الثالث و القرن الرابع⁽⁴⁸⁾، هذا الواقع دفعنا للبحث في مدى أهمية هذه الفرق في الجيش و فيما يكمن هذا التميز و الخصوصية العسكرية للأفارقة ؟

بالعودة إلى قضية تنازل السلطة الرومانية عن بعض الشروط خلال تجنيدها من الأفارقة، هذه الشروط التي سبق و ذكرناها، رغم أنها كانت عقيدة عسكرية قديمة لدى الرومان⁽⁴⁹⁾، هذه النقطة تجعلنا نستقر على التفسيرين التاليين : قد يكون دليل على ضراوة الحرب خلال القرن الثالث و بالتالي الحاجة إلى أكثر قدر مستطاع من المجندين، أو أن أهمية الإفريقي عسكريا فرضت نفسها، و في كلتا الحالتين الغاية كانت واحدة و هي البحث عن حلول عسكرية لأزمة خانقة.



كما سبق وذكرناه في هذا البحث، فإن الأفارقة كانوا حاضرين في الجيش الروماني ضمن إطارين، من باب التحالف و الصداقة أو في إطار الخدمة الإجبارية⁽⁵⁰⁾، ولعل أشهر إشارة لهذا الحضور عموماً خلال فترة الفوضى، تلك التي ذكرت في مسلة "نقش الرستم" الخاص بالملك الساساني شابور الأول خلال حروب فاليريانوس⁽⁵¹⁾، أما الفئة الثانية التي عملت تحت الخدمة الإجبارية كانت السلطة تتعامل معها بحذر أكبر وقد تجلي ذلك في بعض الإجراءات الاحترازية التي سنتطرق إلى بعضها لاحقاً.

يذكر زوزيم في كتابه "التاريخ الجديد" الدور الفعال و الحاسم الذي لعبته الفرق المورية خلال حملة فيليبوس العربي ضد قبائل الكارب (Carpes)⁽⁵²⁾ (رومانيا حالياً)، وبالعودة إلى مسلة "نقش الرستم"، التي أنجزها الملك الساساني شابور الأول تخليداً لانتصاره على جيش فاليريانوس، النقش الذي أمدنا بمعلومات قيمة حول الحضور الإفريقي في جيش فاليريانوس، حيث ذكرت الفرق التي شاركت في واقعة ايداش (Edesse) عام 260 م، حيث ورد في النقش (أنظر الصورة رقم 03) تسع وعشرين اسماً مرتبطاً بالإثنيات التي شاركت في جيش فاليريانوس حيث ذكر اسم الأفارقة و المور⁽⁵³⁾، فالأفارقة كان يقصد بهم النوميديون و الجيتول⁽⁵⁴⁾، أما هيروديانوس؛ فيشير إلى المور خلال حديثه عن حملة أوريليانوس على مملكة تدمر ضد زنبوبيا و ابنها، الحملة التي قادها ميدانيا بروبس، إذ ذكر هيروديانوس حضور فرق الخيالة المورية التي كانت الأكثر شهرة في الجيش⁽⁵⁵⁾، و تأكد تاريخياً أن هذه الفرق لعبت دوراً حاسماً إلى جانب الدالماكيين، في ميادين الأناضول و خصوصاً في معركة أنطاكية الحاسمة عام 272 م، التي فتحت الباب للإمبراطور أوريليانوس للدخول إلى عقر دار مملكة زنبوبيا⁽⁵⁶⁾، هذه الانتصارات المتتالية أثارت انتباه بعض المختصين للتساؤل عن سر ذلك مقارنةً بما حققته قوات زنبوبيا ضد الفرق الرومانية النظامية خلال تمرداتها على السلطة الرومانية المركزية، الملاحظة التي ندعم بها صحة كلام هيروديانوس و طرحنا المقدم هنا.

2-3- المكانة النوعية للأفارقة في المنظومة الدفاعية الرومانية الجديدة:

رغم اختلاف بعض المهتمين بالقضية من مختصين حول أصل و محتوى هذه الفرق، إلا أن ذكرها في المصادر الأدبية بمحتواها الإثني، يؤكد أصلها الإفريقي بالإضافة إلى مؤشر السلاح و طريقة خوضها الحروب أكدت أصولها الإفريقية⁽⁵⁷⁾، و الجدير بالذكر في هذا المقام هي الإشارات الكثيرة الواردة في المصادر الأثرية و التي بينت أن العناصر الإفريقية لم تقتصر مهامها في الجيش الروماني على القتال المباشر فقط، بل كانت لها مهام أكثر أهمية فبعضها كان يتطلب التخصص و الكفاءة⁽⁵⁸⁾، كضمان حراسة ورشات العمل و العاملين بها، مثل ورشات الأشغال العمومية كشق الطرق و بناء الجسور⁽⁵⁹⁾، كما أظهرت مسلة ميلية عُثر عليها بمدينة حطرا (Hatra) بالشمال الغربي للعراق الحالي، و هي منطقة غابية كانت نقطة عبور بين الشمال و الجنوب، إذ أشارت هذه المسلة أن المنطقة تكفلت بحراستها كتيبة مورية⁽⁶⁰⁾، كذلك الحال مع تلك الفرق الإفريقية التي وردت في بعض النقائش التي



عُثر عليها في بعض المواقع بالراين و الدانوب و التي تعود إلى فترة حكم الإمبراطور قاليانوس، هذه المناطق كانت نقاط صدام، حيث كُلفت هذه الفرق بمهمة الاستطلاع⁽⁶¹⁾، كما ذُكرت هذه الفرق كحرس مقرب لبعض الأباطرة⁽⁶²⁾.

الملاحظ أن تميز هذه الفرق، جعلها تأخذ تسميات خاصة حيث وردت تحت مسميات خيالة الطليعة المورية (Equites Mauri) و خيالة الطليعة الإفريقية (Equites Afri)، مثلما ورد في سجل الشخصيات **** (أنظر الصورة رقم 04) حتى أنهم ذُكروا في بعض المصادر الأدبية بتميز خلال وصف المعسكرات الرومانية⁽⁶³⁾، كل هذا ساهم في بروز بعض الشخصيات ذات الأصول الإفريقية في الجيش الروماني خلال القرنين الثالث و الرابع، إذ وردت أخبار عن أفارقة برتبة ليقاتوس (Legatus)، مساعدين لحكام المقاطعات و في حالات أخرى مساعدين للقناصل⁽⁶⁴⁾، كما عُيّن البعض في مناصب عليا و حساسة مثل رتبة حاكم عسكري عام (Dux) و كانوا من طبقة الفرسان⁽⁶⁵⁾، و يُرجح أن مثل هذا التكليف الحساس، كان من منطلق الكفاءة و الثقة، حيث ذكر صاحب "تاريخ أغسطس" أن الدور الفعال الذي لعبته بعض الفرق المساعدة الإفريقية، جعلها تُبرز قوادها الذين احتلوا مراتب عليا، حتى وصل الحال ببعضهم إلى منصب وكيل الإمبراطور⁽⁶⁶⁾.

بالنسبة للكفاءة؛ تشير نقيشة عُثر عليها بمنطقة تراقيا (Thrace) متعلقة بسيرة مهنية لمجنّد إفريقي تحت اسم تايانوس موكيانوس (Taianus Mucianus) الذي تقلد رتبة قائد المائة في عهد قاليانوس إلى جانب منحه رتبة تشريفية و المتمثلة في بروتكتور (Protector)⁽⁶⁷⁾، رتبة مُنحت للاستحقاق الكبير، ثم واصل تألقه العسكري ليتقلد مناصب عليا في القيادة العسكرية، كما ذكرت النقيشة أنه أعيد استدعاؤه من التقاعد ليُكلف بمهمة حساسة و خاصة⁽⁶⁸⁾.

برز بعض القادة من الأصول الإفريقية خلال فترة الأزمة ليعتدوا مناصب عليا في الدولة⁽⁶⁹⁾، مثلما كان الحال مع القائد ماركوس أيميليوس أيميليانوس (Marcus Aemilius Aemilianus)، (أنظر الصورة رقم 05) الذي كان قائدا لجيش الدانوب خلال عام 252 م، حيث أشتهر بانتصاراته على القوط، و في عام 253 م أعلنه الجيش الذي كان يقوده إمبراطورا، ذلك إثر أزمة سياسية في روما، هذا الإجراء جعله يدخل في صدام مع الإمبراطور قالوس (Gallus) انتهى بانتصار الإمبراطور الإفريقي و اعتراف مجلس الشيوخ به⁽⁷⁰⁾، لكن حكمه لم يدم طويلا، ليسقط أمام عزم فاليريانوس سنة 253 م، مثل هذه الأحداث جعلت السلطة الرومانية تتخذ إجراءات احترازية مع المجندين الأفارقة لتفادي التمردات و الانتفاضات.

لقد أظهرت بعض الدراسات التاريخية التي اهتمت بالمسارات المهنية لبعض المجندين الأفارقة، أنه خلال القرن الثالث أعتمدت سياسة جديدة، حيث يجند فرد من الموزولام و يؤدي الخدمة في الجهة الوهرانية، كما وُجد جيتوليون قاموا بخدمتهم العسكرية في بلاد غالة⁽⁷¹⁾، نفس الحالات كانت حاضرة خلال القرنين الرابع و الخامس،



إذ عُثر على لقى أثرية لفرق إفريقية وُزعت في مناطق متعددة وبعيدة عن مواطنها الأصلية⁽⁷²⁾، وقد لوحظ تواجدها بكثرة في المقاطعات الشرقية ذات المناخ و السطح المشابه لموطنه الأصلي⁽⁷³⁾ و الأوروبية و بالخصوص ببريطانيا⁽⁷⁴⁾ (أنظر الصورة 06)، كما ذهب الباحث هوجينيو كريستوف إلى الحديث عن إجراء رسمي كان قائما خلال القرن الثالث، إذ يمنع ذكر الانتماء الإثني في النقيشة⁽⁷⁵⁾، كل هذه المعطيات تدفعنا لإعادة طرح تساؤلات من جديد كما يلي :

هل كان التجنيد الإجباري داخل في شروط اتفاقيات، و هل للتخصص العسكري دور في التوزيع الجغرافي للعناصر؟ أم أن التخوف من خطر التمردات، كان وراء إبعاد هؤلاء عن موطنهم الأصلية ؟ وكيف يمكن تفسير ظاهرة تواجد فرق عسكرية بتسميات إفريقية في عمق المقاطعات الإفريقية خلال القرن الثالث في وقت كانت فيها الثورات شديدة ؟ و ان كان الأمر كذلك، كيف نفسر منح مهمة الدفاع عن أقاليم مستوطنات و مدن رومانية لهذه الفرق المحلية الأصل، الإجابات نجدها بنوع من النسبية في بعض الدراسات التي أثبتت أن أغلب هذه الفرق أُفرغت من محتواها الإثني المذكور في التسمية و استبدلت بعناصر أخرى⁽⁷⁶⁾، في حين أُبقي على التسمية التي تأسست بها الفرقة، مثل هذه الإجراءات كانت حاضرة في إصلاحات قاليانوس العسكرية⁽⁷⁷⁾.

خاتمة:

التطورات السياسية و العسكرية لأزمة القرن الثالث للميلاد، دفعت بالسلطة الرومانية للاستنجاد بالأفارقة في الجيش بنسبة كبيرة، حيث شهدت فترة الأزمة بروز العنصر الإفريقي أكثر في الجيش الروماني، خصوصا في المناصب الحساسة و المميزة، إذ أثبت العنصر الإفريقي جدارته في المسار العسكري عمليا و أخلاقيا، هذا التميز سمح لهم بتقلد مناصب عليا و حساسة في الإدارة عموما و العسكرية خصوصا، الأمر الذي سمح للأفارقة للاستعادة زمام الحكم تدريجيا في الكثير من المجالات محليا، و بالتالي تحقيق نوع من الاستقلالية التي ستأسس لما سيُعرف لاحقا بعد جلاء الرومان من البلاد المغاربية بالإمارات المورية، هذا الواقع يدفعنا إلى إعادة النظر في بعض المغالطات التاريخية التي كرسها الطابع العسكري المحض على الأفارقة في الجيش الروماني، إذ أبعدت عنهم الإسهامات التقنية و الحضارية، بالإضافة إلى التركيز على نقطة ذكائهم في استغلال منفذ الجيش لولوج الميدان السياسي.



الملاحق:

الصورة رقم 01:



الصورة رقم 02:

الصورتين 01+02: مشاهد من عمود النصر لثريانوس بروما تصور هجوم كاسح للخيالة المورية

المصدر: Polyxenia.net



الصورة رقم 03:



جانب من نقش الرستم المجسد لانتصار الملك شابور الأول على جيش الإمبراطور فاليريانوس

المصدر: Empereurs Romains.net

الصورة رقم 04:



**Equites
Honoriani
seniores**



**Equites
Mauri
feroces**

العلامة العسكرية لخيالة الطليعة المورية كما وردت في سجل (Notitia Dignitatum)



الصورة رقم 05:



عملة فضية (الأنطونينيانوس) تصور الإمبراطور ماركوس أيميليانوس ذو الأصول المورية
المصدر: Empereurs Romains.net

الصورة رقم 06:



تمثال مصغر من البرونز لمقاتل موري عُثر عليه بجدار هديانوس ببريطانيا (متواجد حاليا بالمتحف
الوطني لندن)

المصدر: www.britishmuseum.org



الصورة رقم 07:



صور تمثيلية للمحاربين الأفارقة مستوحات من أخبار المصادر الكلاسيكية والأثرية

الهوامش:

(1) Hamdoun (Ch.), les Auxilia Externa Africains des Armées Romaines III siècle , av.jc – IV siècle ap.jc , université Paul Valéry Montpellier III , CNRS – 1999 , p – 137. Et Petit (P.), la crise de l'empire (des derniers Antonins à Dioclétien) dans histoire générale de l'empire, éd. Seuil – Paris – 1974., p- 122.

(2) Lassère Jean-Marie, Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), éd. CNRS – 2011, p- 634. Et Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique Afrique ; de la chute de Carthage aux débuts de la conquête arabe, édition Flamarion, paris – 2000, p- 79.

(3) Cosme Pierre, L'Etat Romaine entre éclatement et continuité 192 – 325 , éd. Seli Arslan , Paris – 1998, p – 27.

(4) أبابير صفوة مرسي، حضارة الرومان العصور الوسطى الأزدهار والتدهور، دار الكتاب الحديث، القاهرة – 2009، ص – 221.

* الظاهرة كانت موضوع دراسة الباحث فليب ريشاردو تحت عنوان " نهاية الجيش الروماني 284-476م" حيث رد أسباب سقوط الإمبراطورية إلى ثلاث : اعتزال العنصر الروماني الحياة العسكرية، تبرير الجيش، انقسام الجيش. للمزيد راجع:

Richardot Philipe, La fin de L'Armée Romaine 284-476 ap.jc, éd. Economica- bibliothèque stratégique, 2005.

(5) Slim Hédi et Mahdjoubi Amar, Khaled Belkhouja, Histoire Générale de la Tunisie, T.1 , l'Antiquité , sud — édition Tunis , Paris — 2003, p — 308

(6) Hamdoune (Ch.), les Auxilia., op.cit., p — 160.

(7) Cosme (P.), op.cit., p — 75.

** احتل كراكلا (211-217 م) المرتبة الثالثة. حيث رفع الأجور من جديد. هذه الزيادات الأخيرة حاول الإمبراطور ماكزنتيوس (217-218 م) إلغاؤها لكن لم يفلح في ذلك بعد المعارضة التي لقيها من طرف الجيش.

(8) Le Bohec Yann, L'armée Romaine dans la Tourmente, une nouvelle Approche sur la crise du III siècle , éd. Brocher — 2009, p- 89.

(9) Ibid., pp- 83-84.

(10) Ibid., p- 83.

(11) Christol Michel, L'Empire Romain du III siècle histoire politique 192 — 325 ap.j.c , éd. Errance , Paris — 1997, p — 26.

(12) اللافي سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقليديانوس) وأثرها السلبية و الايجابية على الإمبراطورية الرومانية 284-305 م، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب- ترهونة، ليبيا-2008، ص ص 08-09.

(13) خالد (محفوظ)، المقاومة المورية ضد الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث، بحث في العلاقات المورية الرومانية"، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، الجزء الأول، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2 — 2014، ص — 201.

(14) هيروديانوس مؤرخ إغريقي الأصول (175م — 249م؟) ترومن في فترة باكورة من حياته و عاش أغلب عمره في روما، أشهر بمؤلف "تاريخ الأباطرة الرومان من ماركوس أوريليوس إلى قورديانوس الثالث" والمؤلف غني بأخبار الأفارقة في الجيش الروماني و خارجه.

(15) نفسه.

(16) Hamdoune (Ch.), les Auxilia., op.cit., p — 158.

(17) Lassère (J.-M.), Vbique Populus..., op.cit., p- 636.

(18) Slime (H.) et Autre , Histoire générale..., op.cit., p — 308.

(19) Hamdoune (Ch.), les Auxilia., op.cit., p — 210.

(20) Le Bohec (Y.) , l'armée Romaine dans la Tourmente..., op. cit., p- 224.

(21) Ibid., p- 204

(22) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., p — 208.

(23) Hamdoune (Ch.), Spécifiée et identité des cavaliers africains de L'Armée Romaine », dans Identités et Cultures dans L'Afrique Antique, sous la direction de Claude Briand-Ponsart, éd. Publication des Universités de Rouen et du Havre — 2005, p- 249.

(24) Laporte Jean Pierre, Encyclopédie Berbère, Tome XXVI, éd. Edsud, Aix — en Provence — 2004, p- 4007.

(25) Morizot(P.), Romains et Berbères face à face, éd. Errance, Paris — 2015, p — 97.

(26) Carrier Jean Michel et Rousselle Adline, L'empire en Mutation de sévères à Constantin 192 — 337, éd. seuil — 1999, p — 136.

(27) Laporte (J.P.), Particularité de la Province ..., op.cit., p- 130.

(28) Morizot (P.), Romains et Berbères face à face..., op.cit., p — 97.

(29) Gage Jean, Les classes sociales dans l'Empire Romaine, éd. Payot, Paris — 1971, p — 256.



- (30) خالد (محمود)، التوسع العمراني الروماني في الجزائر القديمة تأملات في مدى تأثير التنظيم الحضري في رومنة الجزائر القديمة"، أعمال الملتقى الوطني الأول تحت عنوان المدينة والريف في الجزائر القديمة يومي 6 – 7 نوفمبر 2013 تحت إشراف - د- مقراطة يخته، قسم العلوم الإنسانية، فرع الآثار، جامعة معسكر – 2013. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر – 2013، ص ص – 127 – 128.
- (31) Gage (J.), op.cit., p – 256.
- (32) Ibid.
- (33) Lassère (J.)-(M.), Vbique Populus..., op.cit., p-642.
- (34) Ibid. p- 643.
- (35) Lassère (J.)-(M.), Vbique Populus..., op.cit., , p- 645.
- (36) Christol Michel, Essai sur l'évolution des carrières sénatoriales dans la 2 moitié du III siècle ap.jc. , éd. nouvelle édition n latine, Paris – 1986, p- 75.
- (37) خصوصا بعد تحول أداء الخدمة العسكرية من الإجبارية (واجب) إلى الاختياري. للمزيد راجع: عقون (م.أ.)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- 2003، ص- 273 وكذلك
- (38) قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، تر. صالح عباد، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر- 1993، ص- 222.
- (39) Hamdoune (Ch.), Spécificité et identité des cavaliers..., op.cit., pp – 242-243.
- *** النصوص تعود إلى فترة القرنين الثالث والرابع وكانت خاصة بقواد الكتائب، حيث خلصت الباحثة إلى نتيجة التواجد الضئيل للأفارقة، فمن أصل 33 شخص اثنان فقط من أصول إفريقية وقد مارسا الخدمة في فترة لاحقة للأزمة المدروسة. للمزيد راجع:
- Yahiaoui (N.), Les Confins occidentaux de la Mauritanie césarienne sujet de doctorat sous la direction de François queyrel et de Jehan .121desanges, février – EPHE, 2003, p-
- (40) خالد (محمود)، دور العنصر النوميدي في ازدهار الحياة الفكرية في حواضر الأوراس خلال العصر الروماني، المفكر أبولوس نموذجاً، أشغال الملتقى الوطني الثالث الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف العمومي الوطني، خنشلة، 2016.
- (41) Hérodien, VI, 16. Histoire des Empereurs Romains de Marc – Aurèle a Gordien III , Tr. Donis Roques , éd. Belles Lettres Coll.Cuflatin, Paris , 1999.
- (42) Chadburne Cédric, « Les Relations entre Tribus Berbères et Autorité Romaine », Histoire, n° 70 , novembre – décembre – 2013, p – 36.
- (43) Ben Abou Marcel, La Résistance Africaine à la Romanisation, éd. Maspero, Paris- 1976, p- 210.
- (44) نقلا عن عيش يوسف، "مقاومة المور خلال القرن السادس"، أعمال الملتقى الوطني، أيام 11، 12 ديسمبر 2012، تحت عنوان المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، قسم التاريخ والآثار – جامعة سطيف 2 بالتنسيق مع المتحف الوطني العمومي، منشورات المتحف الوطني العمومي سطيف – 2012، ص – 112.
- (45) Chadburne (C.), op.cit., (2013), p – 36.
- (46) Amien Marcelin, XXIX, 5, 25. Histoire Romaine, Tra. M. Nizard, édition Firmin didot, Paris-1860.
- (47) خالد (م.). مقاومة المور... المرجع السابق، ص ص – 201 – 208.
- (48) Lorient Xavier, « Les contingents de l'armée de valérien », dans « la crise de l'empire romain ; de marc Aurèle à Constantin », éd. P.U.P.S., paris – 2006, p- 334.
- (49) Morizot (P.), Romains et Berbères face à face..., op.cit., p – 99.



- (50) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., p – 137. Et Hamdoune (Ch.), Spécifiée et identité..., op.cit., p- 250.
- (51) Lorient Xavier, les contingents de l'armée..., op.cit., p- 333.
- (52) Zosime, VIII, 2. Histoire Nouvelle, Tr. François Paschoud , éd. Les Belles Lettres, Paris, 2000
- (53) Lorient Xavier, les contingents de l'armée..., op.cit., p- 332.
- (54) Ibid., p- 333.
- (55) Hérodien, VII, 1, 2.
- (56) Le Bohec (Y.), l'armée Romaine dans la Tourmente..., op.cit., p-210.
- (57) Carrier (J.M.), op.cit., p – 136.
- (58) مضوي خالدية، فقراء قسنطينة في ظل الاحتلال الروماني من خلال النقوش، مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران- العدد 18 -عدد خاص بقسنطينة- أوت-2015م، ص ص – 26-27. أنظر أيضا
- Ben Abou Marcel, La Résistance Africaine...,op.cit., pp – 201-202.
- (59) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., pp – 138 – 139.
- (60) Christol (M.), L'Empire Romain du III siècle ;... op. cit., p- 74.
- (61) Hamdoune (Ch.), Spécifiée et identité..., op.cit., p-249.
- (62) Carrier (J.M.), op.cit., p – 136. Et Hamdoune (Ch.), Spécifiée et identité..., op.cit., p- 246.
- **** سجل لكل الرتب و الوظائف الإدارية و العسكرية المتداولة في الدولة الرومانية، إذ تجمع الدراسات بدأ العمل به الى فترة النصف الأول من القرن الرابع، مهم كونه خصص حيزا معتبرا للمقاطعات الإفريقية بذكر المسؤوليات و الرتب الإدارية و العسكرية بالإضافة الى تمركز الكثير من الفرق العسكرية و قياداتها.
- (63) Hamdoune (Ch.), Spécifiée et identité..., op.cit., p- 249.
- (64) Slim (H.) Histoire Générale..., op.cit., p – 306.
- (65) Ibid.
- (66) Christol (M.), L'Empire Romain du III..., op.cit., p- 27.
- (67) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., p – 207.
- (68) Ibid.
- (69) اللافي سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقليديانوس)... المرجع السابق، ص- 05.
- (70) Cornevin Robert, Histoire de l'Afrique du nord , Tome I , éd. Payot , Paris – 1962, p – 183.
- (71) Morizot (P.), Romains et berbères..., op.cit., pp – 97 – 98.
- (72) Lassère (J-M.), Vbique Populus..., op.cit., p- 642.
- (73) Christol (M.), L'Empire Romain du III..., op.cit., p- 74.
- (74) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., p – 210.
- (74) Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique..., op.cit., p- 79.
- (74) Morizot (P.), les relations..., op.cit., p – 99. Et Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique..., op.cit., p- 78.
- (74) Hamdoune (Ch.), les Auxilia..., op.cit., p – 204.

